السيدة نفيسة كريمة الدارين

نسبها:

نفيسة ابنة الحسن الأبلج بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، ولدت بمكة سنة 802هـ أمّها أمّ ولد، وأخوتها القاسم ومحمد وعليّ وإبراهيم وزيد وعبيد الله ويحيى وإسماعيل وإسحاق وأمّ كلثوم، أولاد الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ، فأمّهم أمّ سلمة، واسمها زينب ابنة الحسن بن الحسن بن عليّ، وأمّها أمّ ولد تزوّج أمّ كلثوم أخت نفيسة، عبد اللّه بن عليّ بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم، ثم خلف عليها الحسن بن زيد بن عليّ بن الحسن بن عليّ. وأما عليّ وإبراهيم وزيد أخوة نفيسة من أبيها، فأمّهم أمّ ولد تدعى أمّ عبد الحميد، وأما عبيد اللّه بن الحسن بن زيد فأمّه الزائدة بنت بسطام بن عمير بن قيس الشيبانيّ، وأما إسماعيل وإسحاق فهما لأمي ولد، وكان إسماعيل من أهل الفضل والخير، صاحب صوم ونسك، وكان يصوم يوماَ ويفطر يوماً.

فضلها :

كانت من علماء أهل البيت ومحدثيهم وفي صغرها كانت تذهب إلى المسجد النبوي وتسمع إلى شيوخه ، وتتلقي الحديث والفقة من علمائه حتى حصلت على لقب " نفيسة العلم" قبل أن تصل إلى سن الزواج ولما وصلته رغب فيها شببا آل البيت فكان أبوها يردهم ردا جميلا .وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحدّ الذي لا مزيد عليه، فيقال أنها حجت ثلاثين حجة،اكثرها مشيا على الأقدام تقربا إلى الله وزلفى اليه وكانت كثيرة البكاء وعرف عنها كثرة العبادة حيث كانت تصوم النهار وتقوم الليل اء، فقيل لها: ألا ترفقين بنفسك؟ فقالت: كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون. وكانت تحفظ القرآن وتفسيره، وكانت لا تأكل إلا في كلّ ثلاث ليال أكلة واحدة، ولا تأكل من غير زوجها شيئاً،

زواجها :

تزوّج بنفيسة رضي الله عنها إسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وكان يقال له إسحاق المؤتمن، وكان من أهل الصلاح والخير والفضل والدين، رويَ عنه الحديث، وكان ابن كاسب إذا حدّث عنه يقول: حدّثني الثقة الرضي إسحاق بن جعفر، وقد تزوجها في بيت أبيه وبزواجهما احتمع نور الحسن والحسين .وولدت نفيسة من إسحاق ولدين هما القاسم وأمّ كلثوم لم يعقبا.وأما والد نفيسة وهو الحسن بن زيد، فهو الذي كان والي المدينة النبوية من قبل أبي جعفر عبد الله بن محمد المنصور، وكان فاضلاً أديباً عالماً، وأمّه أم ولد. توفي أبوه وهو غلام، وترك عليه دَيناً أربعة آلاف دينار، فحلف الحسن ولده أن لا يُظِلُ رأسه سقف إلا سقف مسجد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، أو بيت رجل يكلمه في حاجة حتى يقضي دين أبيه، فوفاه وقضاه بعد ذلك.
ومن كرمه أنه أتى بشاب شارب متأدّب، وهو عامل على المدينة فقال: يا ابن رسول الله لا أعود وقد قال رسول الله ﷺ: " أقيلوا ذوي الهيآت عثراتهم " وأنا ابن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، وقد كان أبي مع أبيك، كما قد علمت. قال: صدقت، فهل أنت عائد؟ قال: لا والله. فأقاله وأمر له بخمسين ديناراً وقال له: تزوج بها وعد إلي. فتاب الشاب وكان الحسن بن زيد يجري عليه النفقة.

نزولها مصر

ويروى أنها رضي الله عنها عندما نزلت بمصر أخذ الناس يقبلون عليها ملتمسين منها العلم حتى ازدحم وقتها وكادت تنشغل عما اعتادت عليه من العبادات ، فخرجت على الناس قائلة :" قد زاد حنيني إلى روضة جدي المصطفي ط ففزع الناس لقولها وأبوا عليها رحيلها حتى تدخل الوالي (السري بن الحكم) وقال لها : يا ابنة رسول الله إني كفيل بإزالة ما تشكين منه ووهبها دارا واستة ثم حدد يومين اسبوعيا يزورها الناس فيهما طلبا للعلم والنصيحة لتتفرغ هي للعبادة بقية الأسبوع فرضيت وبقيت.

مقاومة الظلم :

ذكر القرماني في تاريخه ويؤيده في روايته صاحب " الغرر" وصاحب "المستطرف" بأن السيدة نفيسة رضي الله عنها قادت ثورة الناس على ابن طولون لما استغاثوا بها من ظلمه وكتبت ورقة فلما علمت بمرور موكبه خرجت إليه فلما رأها نزل عن فرسه فأعطته الرقعة التي كتبتها وفيها : " ملكتم فأسرفتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخولتم ففسقتم ، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم ، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نفاذة غير مخطئة لا سيما من قلوب أوجعتموها ، وأكباد جوعتموها ، وأجساد عريتموها ، فمحال أن يموت المظلوم ويبقي الظالم ، اعملوا ما شئتم فإنا إلى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

. .كرامات لها لم اقف على صحتها:

ولما قدمت السيدة نفيسة إلى مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر نزلت بالمنصوصة، وكان بجوارها دار فيها قوم من أهل الذمّة، ولهم ابنة مقعدة لم تمش قط، فلما كان في يوم من الأيام ذهب أهلها في حاجة من حوائجهم وتركوا المقعدة عند السيدة نفيسة، فتوضأت وصبت من فضل وضوئها على الصبية المقعدة وسمت اللّه تعالى، فقامت تسعى على قدميها ليس بها بأس البتة، فلما قدم أهلها وعاينوها تمشى أتوا إلى السيدة نفيسة وقد تيقنوا أنّ مشيَ ابنتهم كان ببركة دعائها، وأسلموا بأجمعهم على يديها، فاشتهر ذلك بمصر وعرف أنه من بركاتها. وتوقف النيل عن الزيادة في زمنها فحضر الناس إليها وشكوا إليها ما حصل من توقف النيل، فدفعت قناعها إليهم وقالت لهم: ألقوه في النيل، فألقوه فيه، فزاد حتى بلغ اللّه به المنافع. وأسر ابن لامرأة ذمّية في بلاد الروم، فأتت إلى السيدة نفيسة وسألتها الدعاء أن يردّ اللّه ابنها عليها، فلما كان الليل لم تشعر الذمّية إلاّ بابنها وقد هجم عليها دارها، فسألته عن خبره فقال: يا أمّاه لم أشعر إلاّ ويد قد وقعت على القيد الذي كان في رجليّ وقائل يقول: أطلقوه قد شفعت فيه نفيسة بنت الحسن. فوالذي يُحلَفُ به يا أمّاه لقد كُسر قيدي وما شعرت بنفسي إلاّ وأنا واقف بباب هذه الدار. فلما أصبحت الذمّية أتت إلى السيدة نفيسة وقصت عليها الخبر وأسلمت هي وابنها وحسن إسلامهما.

قلـــــت :

ولأهل مصر فيها اعتقاد.

وإلى الآن قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيرا جدا، ولا سيما عوام مصر فإنهم يطلقون فيها عبارات بشيعة مجازفة تؤدي إلى الشرك، وألفاظا كثيرةً ينبغي أن يعرفوا أنها لا تجوز.

وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين وليست من سلالته.

والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي بتسويه القبور وطمسها، والمغالاة في البشر حرام.

ومن زعم أنها تفك من الخشب أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله فهو مشرك، رحمها الله وأكرمها.

مع الشافعي :

كان لأخيها يحيى بنت واحدة اسمها (زينب) انقطعت لخدمة عمتها تقول :" كانت عمتي تحفظ القرآن وتفسره وتقرأه وتبكي وهذكا عاشت في مصر معززة مكرمة ينهل من علومها أهالي مصر وكانت مثال الحديث الشريف : " عاشروا الناس معاشرة إن عشتم حنوا إليكم وإن متم بوا عليكم : ولما وقد الإمام الشافعي رضي الله عنه إلى مصر توثقت صلته بها واعتاد أن يزورها وهو في طريقه إلى حلقات درسه في مسجد الفسطاط وفي طريق عودته إلى داره وكان يصلي بها التراويح في مسجدها في شهر رمضان وكلما ذهب إليها سألها الدعاء حتى إذا مرض كان يرسل إليها من يقرئها السلام ويقول لها: "إن االبن عمك الشافعي مريض ويسألك الدعاء " وأوصى الشافعي بأن تصلى عليه السيدة نفيسة في جنازته فمرت الجنازة بدارها حين وفاته في رجب عام 402هـ وصلت عليها تنفيذا لوصيته.

موتها :

وتوفيت السيدة نفيسة في شهر رمضان عام 208 هـ وقد شاء الله لها أن تختم حياتها بتلاوة القرأن الحكيم ، فقد كانت تتلو سورة الأنعام حتى إذا بلغت قوله تعالى (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) الأنعام غشي عليها وتقول زينب بنت أخيها (ضممتها إلى صدري فتشهدت شهادة الحق وصعدت روحها إلى ربها في السماء) وما إن ذاع خبر وفاتها حتى عج الناس بالبكاء والنحيب ودخل الحزن بين كل محب وعارف بفضل هذا البين الطاهر وازدحم الناس ازدحاما شديدا حيث ارادوا كلهم نيل شرف الصلاة عليها وتشييع جنازتها وأقيمت الصلاة عليها في مشهد ضخم حافل ودفتن في قبرها الذي حفرته بيدها وطالما تمددت فيه أياما تتلو القرآن تتعظ بأياته وتتامل الأيام التي لا بد من مجيئها .

رحمها الله ورضي الله عنها

ونسأل الله أن يجمعنا بها

في مقعد صدق

عند مليك مقتدر

كاتب المقالة : الشيخ/محمد فرج الأصفر
تاريخ النشر : 21/10/2010
من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com